سلسلة بطولات على أرض الأردن المباركة

بطولة ذات أطلاح

وجهود الصحابي الجليل كعب بن عمير الغفاري رضي الله عنه ومن معه

■ بقلم الدكتور نوح الفقير

تقع ذات أطلاح قرب الطفيلة في الأردن، وصفها ياقوت الحموي[1] بأنها وراء ذات القرى، وفي الإصابة[2]: من أرض البلقاء، وفي خطط الشام[3]: بين تبوك وأذرعات، نزلت فيها قبائل قضاعة، تطلب المتسع من المعاش، قال شاعرهم[4]:

وقد نزلت منا قضاعة منزلاً ... بعيداً فأمست في بلاد الصنوبر

أرسل إليها رسول الله ﷺ كعب بن عمير الغفاري رضي الله عنه[5]، وهو من كبار الصحابة، وكان رسول الله ﷺ يبعثه مرة بعد مرة على السرايا، وفي السنة الثامنة بعد الهجرة بعثه رسول الله ﷺ إلى ذات أطلاح، قال الطبري[6]: (في شهر ربيع الأول من السنة الثامنة كانت سرية عمرو ابن كعب الغفاري إلى ذات أطلاح) كذا قال ابن جرير، والصواب ما أثبتت كتب التراجم أنه كعب بن عمير، وقال ابن جرير: خرج في خمسة عشر رجلاً حتى انتهى إلى ذات أطلاح، فوجد جمعاً كثيراً فدعوهم إلى الإسلام فأبوا أن يجيبوا، فقتلوا أصحاب كعب جميعاً، وتحامل[7]، حتى بلغ المدينة، قال الواقدي: وذات أطلاح من ناحية الشام وكانوا من قضاعة،

ورأسهم رجل يقال له: سدوس.

ونقل ابن سعد[٨] عن الزهري أن كعب الغفاري رضي الله عنه وأصحابه، لما بلغوا ذات أطلاح من ارض الشام وجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً، فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنبل، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا، وأفلت منهم رجل جريح في القتلى، فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فشق ذلك عليه، وهمّ بالبعث إليهم -إلى قضاعة- فبلغه أنهم قد ساروا إلى موضع آخر فتركهم[٩].

لقد كانت هذه الحادثة في السنة الثامنة، وهي السنة التي قُتل فيها الحارث ابن عمير الأزدي رضي الله عنه، والذي كان قتله سبباً في غزوة مؤتة الشهيرة، فلعل حادثة ذات أطلاح كانت قبل مقتل الحارث، والله تعالى أعلم.

والظاهر أن سبب هذه السرية غير معروف، قال برهان الدين الحلبي: لم أقف على السبب الذي اقتضى البعث إلى ذلك المحل[١٠].

إن المتأمل في أفراد هذه السرية الأبطال ليتأكد لديه صدق عزيمة السلف الأبرار، وقوة شكيمتهم، واختيارهم الحياة الآخرة على الدنيا الفانية؛ إذ كيف يقف النفر الذين لم يتجاوزوا العشرين أمام قبائل قضاعة! وهم ببلادهم، وعلى أرضهم، وبين أهليهم، والمسلمون مسافرون، وبلا مأوى ولا وفرة زاد، ولا كثرة عدة وعتاد! لكنهم يملكون من العقيدة وحب الاستشهاد، والتطلع إلى إحدى الحسنيين ما يفوق عدد الكفرة وعدتهم، وبهذا كانوا ينتصرون، ويتفوقون، انه الدين الذي أكرمهم الله تعالى به.

وكدأبه لم يذكر التاريخ غير العدد اكتفاء بالأفعال بدل الاشتهار، والحظ الأوفر للأرض التي تباركت بأجسادهم وتعطرت بأفعالهم، وكريم خصالهم، فعليهم وعلى شهدائنا الأبرار الرحمة والرضوان.

الهوامش:

١- معجم البلدان ياقوت الحموي ١/ ٢١٨.
٢- الاصابة ٣/ ٣٠١.
٣- خطط الشام محمد كرد علي ١/ ٢٤.
٤- خطط الشام ١/٧٣.
٥- ترجمة في: الاستيعاب ٣/١٣٢٣، أسد الغابة ٤/٢٤٦، الإصابة ٣/٣٠١.
٦- تاريخ الأمم والملوك ٣/١٠٣.
٧- أي تحامل كعب، وفي كتب التاريخ الأخرى أن الذي أتى رسول الله ﷺ في المدينة رجل منهم.
٨- الطبقات ٢/١٢٧.
٩- البداية والنهاية لابن كثير ٤/٢٤١.
١٠- السيرة الحلبية ٣/١٩٠ .